مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَقْوَالِ قَدَاسَةِ البَابَا شِنُودَة الثَّالِث

الجُزء الأوَّل

الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ

مَزْرَعَةُ بَيْتِ الرَّحْمَـــةِ
مَنْطِقَةُ شُهَدَاءُ الْبَهْنَسَا
الْطَرِيقُ الْصَحَـرَاوِي الْغَرْبِي الْكِيلُو -٢١٥- مِنْ القاهِرةِ

مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَقْوَالِ
قَدَاسَة البَابَا شِنُودَة الثَّالِث

الجُزء الأوَّل

الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ

اسم الكتاب: مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَقْوَالِ قَدَاسَة البَابَا شِنُودَة الثَّالِث - الجُزء الأوَّل
إعداد: الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ.
المطبعة: دار يوسف كمال للطِباعة ت: ٢٤٨٢٧٠٧٤
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة هذا الكتاب بأية طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعه على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من المؤلِّف.
يمكنك أن تحتفظ بِهذا الكِتاب للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعه أو المتاجرة به بأية طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.
يُطلب هذا الكِتاب من:
١. مكتبة مزرعة بيت الرحمة – بني مزار – المنيا (الصحراوي الغربي – الكيلو ٢١٥ من القاهرة)، [تليفون: ٠١٢٨٩٨٢٠٦٥٣ \ ٠١٢٧٨١٤٥١٦٢]
٢. جميع المكتبات المسيحيّة والكنائس بالقاهِرة والأقاليم.

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندريّة وبطريرك الكِرازة المرقسيّة

نيافة الأنبا إستفانوس

أسقف ببا والفشن وسمسطا

مُقَدِّمة

نُقَدِّم لِشعبنا الحبيب هذه الأقوال الثمينة التى أثرت كنيستنا القبطيّة الأرثوذكسيّة وغيرها لِسنواتٍ هذه عددها فأنارت عقولنا وألهبت قلوبنا بِنار محبة المسيح الإلهيّة تلك التى إذ أحبنا بها وهبنا هديته الغالية مُمَثَّلَةً فى شخص قداسة البابا المُتَنَيِّح شنودة الثالِث ولِسانه العطر الذى طفق مُعَلِّماً مُهَذِّباً شاهِداً للحق وللإنجيل ولِوصايا الرب الإلهيّه فيه.

بِبركة صلوات صاحِب الغبطة والقداسة البابا المُعَظَّم الأنبا تواضروس الثانى وشريكه في الخدمة الرسوليّة نيافة الأنبا إستفانوس أسقف ببا والفش وسمسطا نصدر هذا العمل راجين من إلهنا القدوس أن يجعله خيراً ونفعاً لأبنائه فى كل مكان.

✠

١} عجيب أنَّ السيد المسيح وهو على الصليب فى مظهر الضعف والانهزام كان يعطى. أعطى لصالبيه المغفرة، وأعطى اللص اليمين الفردوس، وأعطى العذراء إبناً روحياً ورعاية وأهتماماً، وأعطى يوحنا الحبيب بركة العذراء فى بيته، وأعطى الآب ثمن العدل الإلهى الذي يتطلبه، وأعطى البشرية كفارة وفداءً، وأعطانا أيضاً اطمئنانا على تمام عمل الخلاص، أعطى لكل أحد، وهو الذي لم يعطه أحد شيئا، قدم للبشر كل هذا، فى الوقت الذي لم يقدموا له فيه سوى مُر وخل.

٢} المسيح فى عِبارة "يا أبتاه اغفر لهم" أثبت لاهوته، وفى عبارة "إلهى" أثبت ناسوته، ومن كليهِما معاً أعلن انه الإله المُتأنس، الله الذى ظهر فى الجسد (١تى ٣: ١٦)، فى عبارة "يا أبتاه" شجب الهرطقة الآريوسيّة التى انكرت لاهوت المسيح فى القرن الرابع، وفى عِبارة "يا إلهى" شجب هرطقة اوطيخا الذى أنكر ناسوت المسيح فى القرن الخامس، فى الاولى تَكَلَّم كابن الله، وفى الثانيه تَكَلَّم كابن الإنسان كنائبٍ عن البشر.

٣} كثيرون التقوا مع الرب فى الكنائس والمعابد وآخرون التقوا به فى مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة، أمّا أن يكون مكان اللقاء على الصليب، فهذا عجيب حقا. هل كان هذا اللص يفكر إنه إذا تاب فى يومٍ ما والتقى بالرب يكون لقاؤه به فى مثل هذا الموضع؟!

٤} المسيح على الصليب لم يَتَكَلَّم مع الآب فقط بل مع البشر أيضاً، مع القديسين مُمَثَّلين فى السيدة العذراء وفى يوحنا الرسول، ومع الأشرار التائبين

مُمَثَّلين فى اللص اليمين، وكانت كلماته كلمات بركه ونعمة، لقد كانت ساعة للخلاص وكانت تليق بها البركة لذلك تَكَلَّم بِكلام المغفرة والخلاص والفردوس.

٥} عجيب هذا حقاً، أن يكون الوحيد الذي دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين! لم يدافع عنه واحد من الإثنى عشر، لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين، لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين، لم يدافع عنه أحد، اجتاز المعصرة وحده، والوحيد الذي دافع عنه ولم يقبل كلمة إساءة توجه إليه هو اللص اليمين! من كان يظن فى جميع التلاميذ وفى جميع المؤمنين أن الوحيد الذي يدافع عنه هو اللص! حقا [كما قال الرب] "انظروا، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار" (متى١٨:١٠).

٦} الجميل فى هذا اللص [غير دفاعه عن المسيح] أَنَّهُ كان مشغولاً بأبديته، كان مهتما بإعداد العدة لمصيره الأبدى، هو أيضاً لم يكن يفكر فى الآمه الجسدية، وإنما فى مصيرة بعد الموت. لذلك صرخ فى استرحام وفى استغفار "اذكرنى يا رب"، اذكرنى فى مراحمك، وليس فى خطاياى، أو كما قال داود النبى "اذكر يا رب مراحمك ورأفاتك فإنها ثابته منذ الأزل. خطايا شبابى وجهالاتى لا تذكر. كرحمتك اذكرنى أنت من أجل جودك يا رب" (مز ٢٥: ٦- ٧).

٧} إنَّ قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة أنَّ ساعة الموت تختلف من إنسان إلي آخر، لا نقل أنه ذكر الرب وتاب إذ كان لا بد أن يفعل هكذا فى ساعاته الأخيرة، كلا فاللص الآخر كان مثله فى ساعاته الأخيرة ومع ذلك يقول الكتاب أنه كان يجدف على المسيح، وما كان يخاف الله، وما كان يهتم بمصيره

الأبدى، وإنما كان كل هَمَّهُ أن يتخلص من الصليب (لو ٢٣: ٣٩) ليعود فيتمتع بهذا العالم، وهكذا استحق الانتهار من زميله، وفى ساعة الموت: بدلا من أن يتوب عن خطاياه كان يرتكب خطايا جديدة بقسوة قلب.

٨} المسيح على الصليب بدأ أولاً يطلب المغفرة للناس، لأنه على الصليب بدأت فاعليَّة دمه المُقَدَّس فى الغُفران، وإذ فتح باب المغفرة جاءت الكلمة الثانية الخاصة بِفتح الفردوس، لأنَّهُ إذ يدفع الدم ثمناً للمغفرة يُمكن فتح الفردوس.

٩} المسيح على الصليب ذكر أعدائه أولاً ثُمَّ أحبائه، كلامه الأوَّل خاص بِصالبيه، ثُمَّ باللص ثُمَّ بالعذراء ويوحنا.

١٠} المسيح على الصليب لم يطلب لِصالبيه الغُفران فقط بل وأيضاً التمس لهم عُذراً.

١١} كثيرون فى ساعة الموت يبكون بدموعٍ، ليس بكاءً على خطاياهم، وإنما لأنَّ الموت سيحرمهم من ملاذ الحياة! يبكون لأنَّ الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم، ما يزال العالم حلوا فى قلوبهم، حتى فى ساعة الموت، لا تظنوا أنَّ الموت [بالضرورة] يجلب للإنسان خشوعا! ليس لكل الناس، إنَّ اللص اليمين استفاد من ساعة الموت، واللص اليسار لم يستفد، وبينما كان اللص اليسار يجدف ويُعَيِّرُ، كان زميله يصلى ويتضرع قائلا "اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك".

١٢} إن المغفرة التى نالها اللص هى عمل إلهى، وفَتْحِ باب الفردوس هو عمل إلهى أيضاً. عملان قام بهما الرب على الصليب يثبتان لاهوته، إنه لم يُصَلِّي

لأجل اللص للمغفرة ولدخول الفردوس، إنما قال له بسلطانٍ "اليوم تكون معى"، وكأنَّهُ بهذا باشر عمله كديانٍ عادلٍ من حقه أن يصدر حكماً فى أبدية إنسان، فَحَكَمَ لِلِّصِ بدخول الفردوس فى نفس اليوم، مَنْ مِنَ البشر له سلطان أن يفعل هذا؟! إنه سلطانٌ إلهيٌ لا يقدر عليه إنسان، كذلك فَتْحِ الفردوس: أمرٌ لم يقو عليه أحدٌ من قبل، لا رئيس ولا نبيا. مَنْ استطاع أن يفتح باب الفردوس المغلق، أو من استطاع أن يدخله؟! لا أحد. كلهم انتظروا حتى يأتى المخلص فيفتح لهم، إنه عملٌ إلهيٌ، هو أيضاً إعلان عن كفاية هذا الدم المسفوك عنا لفَتْحِ باب الفردوس.

١٣} إنَّنَا نحن البشر نقول إنَّ فعلتهم [أى صالبى الرب] هو مجموعة من الخطايا البشعة، إنَّها خطايا حسد وغيرة وكراهية ووقيعة من الرؤساء الدينيين، وخطايا اندفاع ونُكران جميل من الشعب الجاحِد، وخطايا قسوة واستهزاء وشتائم واعتداء واهانة من الجُند وخُدّام الكهنة، وخطايا جُبن وظُلم ولامُبالاة من بيلاطس، وفوق كل ذلك هى خطيَّة قتل وخطيَّة تعذيب، وخطايا كذب وتلفيق فى المُحاكمة، أمّا المصلوب الحنون الطيب فلم يذكر سوى أنَّها خطية جهل لأنهم "لا يدرون ماذا يفعلون"! ما أعجب طيبة قلبك أيُها المحبوب المصلوب، إنَّ أعماق هذه الطيبة هى فوق ادراكنا.

١٤} إنَّ السيد المسيح فى غفرانه لصالبية قد قدم مثالاً عملياً لتنفيذ وصاياه، لقد قال من قَبْلِ "احبوا اعداءكم، أحسنوا إلي مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم"، وها هو ذا يُنَفِّذُ بنفسه ما سبق أن اوصى به الناس، إنَّ الرب لا يعطى وصايا للآخرين ولا ينفذها بنفسه، لقد نَفَّذَ هذه الوصية [محبة الأعداء]

ونَفَّذها عملياً، فى عمقٍ وفى مثاليةٍ عجيبةٍ، فغفر لصالبيه ومضطهديه وللمسيئين إليه.

١٥} اعلم إذَنْ أنَّ المسيح قد غفر لنا لكى نغفر نحن أيضاً لغيرنا ونتمتع ببركة المغفرة التى تأتى إلينا والتى تصدر منا، كُلَّما نتذكر اساءآت الناس إلينا، فلنقل نحن أيضاً من أعماق أعماقنا "اغفر لهم، لأنَّهُم لا يدرون ماذا يفعلون".

١٦} ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائهُ وانت لم تغفر؟ ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحبَّ أعدائه بينما انت لا تُحِبُّ أعدائك ولا تُسامحهم؟ ماذا تستفيد؟ اذن، فأنت لم تشترك مع المسيح فى عمله، ولم تسلك فى صِفاته.

١٧} قول المسيح "يا أبتاه اغفر لهم" لا تعنى أنَّهُ غَفَرَ لِجميع صالبيه على الاطلاق وبلا استثناء، فلا يُمكن أن يَتَمَتَّع بالمغفرة من صالبيه إلّا من ينطبق عليهم شرطان مبدئيّان جوهريّان هُما الإيمان والتوبة مع باقى وصايا الرب اللازمة للخلاص.

١٨} إنَّ السيد المسيح قد قدم خلاصاً للعالم كله. ولكن لا يتمتع بهذا الخلاص سوى المؤمنين التائبين السائرين فى طرقه، المتمتعين بعمل الروح القدس فى أسراره.

١٩} إنَّ عبارة "يا أبتاه اغفر لهم" تحمل عمق الحب وعمق المغفرة. ولكى تسبر أعماقها، تصورها بالنسبة إلى نفسك.

٢٠} قد تستطيع ان تغفر لإنسان أتعبك، أمّا أن يُلَفِّقُ إنسان حولك تُهماً، ويحكم عليك ظُلماً ويثير عليك الشعب والحُكّام ويهزأ بك ويجلدك ويُعَلِّقك على الصليب ويدق المسامير فى يدك وقدميك، ثم بعد ذلك [وأنت فى عمق الألم] تستطيع أن تغفر له وتصلى لأجله وتدافع عنه، فهذا يحتاج إلى حب فوق الطاقة وفوق العادة.

٢١} كثيرون آمنوا بالمسيحية من أجل عبارة "يا أبتاه اغفر لهم" وحدها، يا أبتاه اغفر لهم لأنّى من أجل هذا جئت، هذا هو العزاء الذي يُفَرِّحُ قلبى وسط كل آلام الصليب، وسط كل آلام الهزء وكل آلام التخلى، إنهم مغلوبون من خطاياهم، مغلوبون من عمل ابليس فيهم، ومغلوبون أيضاً من ضعف ارادتهم ومن جهلهم، شعورى نحوهم هو شعور اشفاق، لست أذكر ما يعملونه فِيَّ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها، إنما أذكر أمامك حاجتهم إلى المغفرة، اغفر لهم لأنَّك بهذا تُفَرِّحنى، إذ أكون قد أتممت رسالتى وحققت هدفى.

٢٢} إنَّ عبارة "يا أبتاه اغفر لهم" هى بداية عهد الغفران، ليس الغفران المدعو به، وإنما الغفران المدفوع ثمنه، انها إعلان بأنَّ العدل الإلهى قد استوفى حقه على الصليب، إنها صك، وثيقة المشترى الذي دفع الثمن ويريد أن يستلم.

٢٣} السيد المسيح بعبارة "يا أبتاه اغفر لهم" يعلن انتصاره على الشيطان، كل جهاد الشيطان كان فى ابعاد الناس عن الله، وفى ابعادهم عن المغفرة، وفى عرقلة طريق الخلاص ولكن هوذا طريق الخلاص قد فُتِحَ للناس، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرش دمه على الخيمة فيقدسها.

٢٤} كانوا يقولون له إن كُنْتُ ابن الله انزل من على الصليب، أما هو فأعلن أنه الابن بقوله "يا أبتاه"، ولكنه وهو الابن سيبقى على الصليب لكى يغفر لهم، ولو نزل من على الصليب ما استطاع أن يقول "اغفر لهم"، الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدى عملها فى المغفرة.

٢٥} عبارة "يا أبتاه اغفر لهم" هى العبارة التى كان يشتاق لسماعها كل الراقدين على رجاء من بدء الخليقة كلها، إن كان هكذا قد أحب الرب صالبيه ومقاوميه وغفر لهم، فكم تكون بالحرى محبته لأحبائه ومريديه، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافأته، إنها عبارة أذهلت كل الجنود المحيطين بالصليب، واذهلت أيضاً اللص اليمين الذي توجه إليه الرب بكلمته الثانية "اليوم تكون معى فى الفردوس".

٢٦} لقد استطاع هذا اللص أن يصل إلى المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة أو فى الساعة الثانية عشرة، فصلى صلاة واسْتُجيبت بأسرع ما تكون الإستجابة، كثيرون كانت لهم صلوات طويلة بابتهالاتٍ وطلباتٍ وتضرعاتٍ وعرقٍ ودموعٍ، أما هذا اللص فبعبارة واحدة قصيرة مركزة عميقة، استطاع أن يحصل على كل شىء، وأصبحت صلاته هذه مصدر تأملات لكثيرين، ترددها الكنيسة كلها معه، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب.

٢٧} هذا اللص هو الوحيد الذي أجابه المسيح بسرعة، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة.

٢٨} ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص! كان زميلاً على الصليب، وزميلاً صالحاً! وبلغت الصحبة مداها، إنَّ الرب لم يكتفِ بصحبته له على الصليب، وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً فى الفردوس.

٢٩} كان الرب يستطيع أن يَعِد اللص قائلا "اليوم تكون فى الفردوس"، ولكنَّهُ قال له "تكون معى"، يدخل فى معيته، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضاً، ما أسعده لِصّاً!

٣٠} لم يأنف الرب من هذا اللص، ولم يشمئز، بل على العكس وجد فيه قلباً مملوءاً بالفضائلِ، فبادله الحديث على خشبة الصليب، وفَرِحَ أن يسعد قلب هذا اللص بوعد يطمئنه على مصيره قبل أن يلقى الموت.

٣١} إنَّ الروح يهب حيث يشاء (يو٣:٨)، لقد عاش هذا اللص حياته كلها فى الخطية، ولصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله، فهل معنى هذا أنَّ النعمة كانت حجبت وجهها عنه. أو أنَّ الرب قد نسيه إلي الإنقضاء؟! كلا، مراحم الرب كانت تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه، ثم جاء زمان افتقاده ونال الخلاص، وهو على بعد أشبارٍ من الموت.

٣٢} نحن لا نعرف مَنْ هُمْ المختارون، من كان يظن أنَّ هذا اللص سيصير واحداً منهم؟! مَنْ كان يظن أنَّهُ فى ساعة واحدة سينال ما ناله غيره بجهادٍ عشرات السنوات؟! إنَّنَا نحكم حسب الظاهر ونحتقر البعض ونرثى للبعض، وربما يكونون أفضل منا بمراحل، ومع ذلك نقول فى صدق أنَّ هذا اللص قد دخل الفردوس عن جدارةٍ واستحقاقٍ.

٣٣} ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلا "اذكرنى يا رب"، اذكر أن لك ابناً فى كورة بعيدة، وعبداً ضالاً خارج الحظيرة، اذكرنى فى ضعفى وفى ذُلّى وفى سَبيي، اذكرنى فى سقوطى لكى تقيمنى وترد نفسى إليك، اذكرنى لأنَّى

واحدٌ من الذين "ليس لهم أحد يذكرهم"، ليس لي إنسان يلقينى فى البركة فأبرأ (يو ٥: ٧).

٣٤} اللص اليمين يُعطى درساً قاسياً لكل من يؤجل التوبة وفى ظنه أنَّهُ سيتوب فى أواخر أيامه التى لا يعرف لها موعدا! كثيرٌ من الناس يكونون فى ساعة الموت مثل اللص الذي على الشمال، يجدفون ويتذمرون ويشتهون العالم الحاضر! من كان عبداً لعادةٍ من الصعب أن يبطلها بالتأجيل، حتى إن دُقَّتْ يداه وقدماه بالمسامير، وكان بينه وبين الموت دقائق!

٣٥} الإنسان المتواضع لا يدين أحداً، إنَّهُ ينصت في انسحاق قلب إلي قول السيد المسيح "لماذا تنظر القذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟! يا مرائي اخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تُخْرِجُ القذي من عين أخيك" (متي ٧: ٣-٥).

٣٦} إذا لم يتعاون الإنسان مع النعمة فى قلبه ساعة الموت، فَمِن الممكن أن يُخطىء فى تلك الساعة أيضاً.

٣٧} لقد قال اللص "اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك"، وحسنا آمَنَ أنَّ للمسيح ملكوتاً روحياً فى السموات وأنَّ مملكته ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون، ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس إلّا بعد القيامة العامة، أمَّا بعد الموت مباشرة فيذهبون إلى مكان الإنتظار، وهكذا لم يقل السيد للص "اليوم تكون معى فى ملكوتى" وإنما "فى الفردوس"، وبهذا باشر الرب وظيفته كَمُعَلِّم صالح، حتى على الصليب بنفس طريقته الوديعة فى التعليم شارحاً للمخطىء خطأه دون أن يقول له أنَّكَ أخطأت.

٣٨} الفرق الأساسي بين النقد والإدانة، هو أنَّ النقد يلتزم الموضوعية، أمَّا الإدانة فكثيراً ما تمس النواحي الشخصية، النقد يتناول الموضوع ويُحَلِّلَهُ، ويقوم بعملية تقييم عادلة، يذكر ما فيه من المحاسن ومن العيوب علي السواء، وقد يذكر أسباب النجاح وأسباب الفشل في كل النواحي، وإن كانت هناك مساوئ، يقترح الوضع السليم الذي كان يجب اتباعه.

٣٩} النصح والتوبيخ لا يصلحان إلّا في وقتهما المناسب، وهنا تخطر علي بالي قصة طريفه وهي: قيل أن صبياً نزل إلي البحر يستحم وكان المكان خطراً فيه دوامات جذبت الطفل، فكاد يغرق وصاح يطلب النجدة فمر عليه رجل ورآه في هذه الحال، فقال له [ياولد، كيف أن تستحم في البحر، وأنت لا تَتَّقِنُ السباحه؟ وكيف بلغ بك الجهل أن تستحم في هذه المنطقة الخطرة؟ وكيف...؟] فقال له الصبي [انقذني يا سيدي الآن، ثم وَبِّخني بعد ذلك]! حقاً تَمُرُّ أوقاتٌ علي الخطاة، يحتاجون فيها إلي من ينقذهم وليس إلي من يوبخهم.

٤٠} عبارة "اليوم تكون معى" تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أنَّ روح الميت تظل باقية تتردد على أماكن سكناها حتى اليوم الثالث إلى أن تصلى الكنيسة صلاة فى اليوم الثالث لِصَرْفِ تلك الروح.

٤١} اليوم تكون "معى"، إنها مُتعة جميلة أن نكون مع الرب، إن الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس أو هو أجمل ما فى الفردوس أو هو الفردوس ذاته، بل هو النعيم الحقيقى، أن نوجد معه هذا هو ما قاله الرب وما وعد به "آتى وآخذكم إلى، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤ : ٣)، ما أجمل هذا الوعد، إنه أملنا الذي نسعى إليه ونشتهيه.

٤٢} اهتمام الرب باللص يُظْهِرُ لنا أهمية العمل الفردى إلى جوار العمل الجماعى، فبالإضافةِ إلى عَمل الفداء العظيم المُقَدَّمُ للعالم أجمع، لكل من يؤمن به، وبالإضافة إلى غفرانه لصالبيه، كان له أيضاً عملٌ فردى مع اللص، لأنَّ الفرد [عند المسيح] لا يتوه وسط الجماعة، لا تزال له قيمته، وله اهتمامه.

٤٣} كان السيد المسيح فى كرازته على الأرض يعمل فى الميدانين معا: العمل الجماعى، والعمل الفردى: العمل الجماعى وسط الجماهير الكثيرة، وسط الجموع المزدحمة حوله فى عظته على الجبل، ووسط الخمسة الآلاف الذي اشبعهم بخمس خبزات وسمكتين، وله العمل الفردى وسط الاثنى عشر، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا، أو مع نيقوديموس، أو فى بيت مريم ومرثا، أو المرأة السامرية عند البئر.

٤٤} إن الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة، ولا يضيع فرد فى زحمة الناس، لا يضيع الخروف الضال فى زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين، لا يضيع اللص اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله.

٤٥} كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب، فكما أهتم بصالبيه وقال لهم "يا أبتاه أغفر لهم"، وكما اهتم باللص اليمين ووعده قائلا "اليوم تكون معى فى الفردوس"، اهتم أيضاً بأمه وعهد برعايتها إلى تلميذه الحبيب يوحنا.

٤٦} عَهَدَ [أى المسيح] بالبتول إلى تلميذه البتول، عَهَدَ بأُمِّهِ التى حملته كثيراً على صدرها إلى تلميذه الحبيب الذي أتكأ كثيراً على صدره، عَهَدَ بأُمِّهِ التى

وقفت إلي جوار صليبه إلى تلميذه الوحيد الذي تبعه حتى الصليب، عَهَدَ بأُمِّهِ التى حَمَلَتْ فى داخلها جمر لاهوته إلى تلميذه الذي كتب إنجيلاً فيما بعد يثبت فيه لاهوته.

٤٧} إنَّ الشخص فى آلامه يكون موضع اهتمام الناس به، أمَّا المسيح فى آلامه، فكان هو المهتم بغيره.

٤٨} لقد ظن البعض [عن سوءِ فهمٍ] أنَّ السيد الرب فى تركيزه على العلاقات الروحية قد أبطل الاهتمام بهذه العلاقات العائلية فى قوله "من هى أمى، ومن هم أخوتى، الذي يفعل مشيئة أبى الذي فى السموات هو أخى وأختى وأمى" (مت ١٢: ٤٨-٥٠)، ولكن هذا الفهم الخاطىء ألغاهُ الرب على الصليب.

٤٩} وكأنَّما كان هناك موعد [على الصليب] بين السيد المسيح وأمه القديسة العذراء، كان وجهها الطاهر أوَّل وجه يراه عند مجيئه إلي هذا العالم بالجسد، وكان آخر وجه يراه قبيل تسليمه الروح فى يدى الآب، إنَّهُ قلب الأم المحب الذي يسعى وراء الابن أينما كان ويلازمه فى آلامه فى حب ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة [أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا إبنى وإلهى].

٥٠} إنَّ التكريس والتفرغ لخدمة الرب والانشغال بالأسرة الكبيرة التى هى الكنيسة الجامعة، كل ذلك لا يعنى إهمال الإنسان لأقربائه وخاصتهُ ولاسيما أهل بيته (١تي ٥: ٨)، وكل ذلك لا يعفى الإنسان من أكرام والديه أو من الاهتمام بأمه.

٥١} حديث الرب مع أُمِّهِ على الصليب يختلف عن حديثه مع اللص اليمين، هو [أى اللص] الذي بدأ الكلام والرب رد عليه، أما مع القديسة مريم فالرب هو الذي بدأ الكلام، إنها أُمّهُ، لا ينتظر حتى تكلمه فيرد عليها ولا ينتظر حتى تشكو إليه فينظر فى شكواها.

٥٢} العذراء لم تشكو أبداً إنما تعودت أن تصمت، حتى إلى جوار الصليب، لم يقل أحد أنها كانت تصرخ أو تندب، إنما كانت رصينة ورزينة فى ألمها، وصامتة، وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه، ويعرف دواخل قلبها ومشاعرها فكلمها دون أن تطلب وأطاعت كلامه وذهبت مع التلميذ الحبيب إلى بيته.

٥٣} كان يبدو أن المسيح على الصليب لا يملك شيئا، حتى ملابسه أخذوها واقتسموها فيما بينهم ولكنه كان يملك يوحنا فأعطاه لأمه، يوحنا الذي وهب قلبه للمسيح، فأخذ المسيح هذا القلب، ووهبه لأمه، وهكذا جمع الرب محبيه معاً واهتم بأمه عاطفياً كما اهتم بها مادياً.

٥٤} تُرى من الذي كان يهتم بالآخر: العذراء أم يوحنا، كانت العذراء فى بيت يوحنا، لا لتأكل منه، وإنما لتملأهُ بركة ونعمة، ولكى تمنحه أيضاً معرفة بالمسيح، أعمق من كل ما يعرفونه، وأوسع.

٥٥} نلاحظ أن كون المسيح يعهد بأمه إلى تلميذه يوحنا، يحمل دلالة اكيدة على أنَّ السيدة العذراء لم يكن لها أبناء آخرون بعد المسيح كما يدعى البعض؟ إنَّهُ لو كان لها أبناءً لكانوا أولى برعايتها وبنوال بركتها من أي شخص غريب.

٥٦} عبارة "هذا هو أبنك" تعطينا فكرة عن البنوة الروحية كما توضح لنا كرامة العذراء بالنسبة إلى آبائنا الرسل انفسهم.

٥٧} عِبارة "إلهى إلهى لماذا تركتنى" ليس معناها الانفصال، وإنما معناها: تركتنى للعذاب، تركتنى اتحمل الغضب الإلهى على الخطية، هذا من جهة النفس، أما من جهة الجسد، فقد تركتنى أحِسُّ بالعذاب وأشعر به، كان ممكنا ألّا يشعر بألم، بقوة اللاهوت، ولو حدث ذلك لكانت عملية الصلب صورية ولم تتم الآلام فعلاً، وبالتالى لم يدفع ثمن الخطية ولم يتم الفداء.

٥٨} الأب ترك الابن يتألم، والابن قَبِلَ هذا الترك وتَعَذَّبَ به، هو من أجل هذا جاء، كان تركاً باتفاقٍ من أجل محبته للبشر ومن أجل وفاء العدل، تركه يتألم ويبذل ويدفع دون أن ينفصل عنه، لم يكن تركا أقنومياً بل تركاً تدبيريا، تركه بحبٍ، "سُرَّ أن يسحقه بالحزن" (إش ٥٣: ١٠).

٥٩} عبارة "تركتنى" تعنى أنَّ آلام الصليب كانت آلاماً حقيقية، وآلام الغضب الإلهى كانت مُبْرِحَةً، فى هذا الترك تركزت كل آلام الصليب وكل آلام الفداء، هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة وكذبيحة إثم تشتعل فيها النار الإلهية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد وتوفى عدل الله كاملا.

٦٠} قال المسيح "إلهى إلهى لِماذا تركتنى" بصفته نائباً عن البشريّة، قالها لأنه "أخلى ذاته وأخذ شكل العبد صائرا شبه الناس وقد وُجِدَ فى الهيئة كإنسان" (في ٢: ٧- ٨)، قالها لأنَّهُ "وضع نفسه" و"أطاع حتى الموت، موت الصليب" (في ٢: ٨)، إنَّهُ يَتَكَلَّم الآن كابنٍ للإنسان، أخذ طبيعة الإنسان، وأخذ موضعه، ووقف نائباً عن الإنسان وبديلاً عنه أمام الله، كابنِ بشر، وُضِعَتْ عليه كل خطايا البشر، وهو الآن يدفع ديونهم جميعا.

٦١} لقد ناب السيد المسيح عن البشرية فى أشياء كثيرة، إن لم يكن فى كل الأشياء:

ناب عَنّا فى الصوم: لم يستطيع آدم وحواء أن يصوما عن الثمرة المحرمة، وقطفا وأكلا، وبدأ السيد حياته بالصوم حتى عن الطعام المحلل، لم يكن فى حاجة إلى الصوم، ولكنه {صام عنا أربعين يوماً} كما تقول تسابيح الكنيسة.

ناب عَنّا فى طاعة الناموس: "الرب من السماء أشرف على بنى البشر، لينظر هل من فاهم طالب الله، الجميع زاغوا وفسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (مز ١٤: ٢-٣)، وجاء المسيح فناب عن البشر فى طاعة الآب، نفذ الناموس لكى "يكمل كل بر" (مت ٣: ١٥) كما ذَكَرَ وقت العماد.

ناب عَنْ البشرية فى تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب، و**ناب عَنّا أيضاً فى الموت وفى العذاب** وفى دفع ثمن الخطية و"الذي بلا خطية صار خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١)، واحتمل كل لعنة الناموس واحتمل كل غضب الله على الخطاة بكل ما فيه من مرارة، وكنائبٍ عن البشرية قال "إلهى إلهى لماذا تركتنى".

٦٢} إن كانت الخطية تُسَبِّبُ كل هذا الترك وكل هذا التخلى وكل هذا الالم، فلنسلك نحن بتدقيق (أف ٥: ١٥)، ولنخف أن نترك الرب لئلا يترُكنا، فإن الإبن نفسه قد تُرِكَ، وألم الترك لا يطاق، وفى كل ذلك فلنشكر ربنا يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا البذل.

٦٣} إنَّ عبارة "لماذا تركتنى"، تعطينا الكثير من العزاء كلما نقع فى الضيقات، إن كان الله الآب "لم يشفق على ابنه" (رو ٨: ٣٢)، وسَلَّمَهُ لهذا العذاب

والحزن، فلماذا نَتَذَمَّرُ نحن على الآلام التى يسمح بها الآب؟! إن كان الآب قد سُرَّ أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب الذي قال عنه "هذا هو ابنى الحبيب الذي به سررت" (مت ٣: ١٧)، ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشيءٍ من كل آلام المسيح على الرغم من استحقاقنا لِكُلِّ ألم، فلماذا إذَنْ نتذمر على الضيقات؟

٦٤} عبارة "لماذا تركتنى" لم تكن نوعاً من الاحتجاج أو الشكوى، إنما كانت مُجَرَّد تسجيل لآلام المسيح واثبات لِحقيقتها وإعلانا بِأَنَّ عمل الفداء سائر فى طريق التمام.

٦٥} من أجل خطايای [ايها الأخ] ومن أجل خطاياك، جَفَّ حلق الرب على الصليب و" لصق لسانه بحنكه" و"يبست مثل شقفة قوته" (مز ٢٢: ١٥).

٦٦} بِقول المسيح "أنا عطشان" أعلن أنَّ الطريق أخذ سبيله إلى الحديد المحمى بالنار، أو أعلن أنَّ النار بدأت تلتهم ذبيحة المحرقة، أو أعلن أنَّ العدل الإلهى يتقاضى أجره وأنَّ اللاهوت [كعهده] لم يتدخل لتخفيف الألم عن الناسوت، فكان ألماً كاملاً تَنَسَّم منه الآب رائحة الرضا، وعَبَّر عنه الابن بعبارة "أنا عطشان"، فليخز الآن أوطيخا الذي قلل من حقيقة ناسوت الرب، فلو لم يكن ناسوته كاملاً ما قال "أنا عطشان".

٦٧} لم يقل المسيح "أنا عطشان" ليطلب منهم ماءً، فالله لا يمكن أن يلتمس معونة من البشر، وأيضاً لأنه كان عازماً أن يشرب كأس الألم حتى التمام، لذلك اكتفى عندما قدموا له خلاً ممزوجاً بالمُرِّ كنوعٍ من التخدير لتخفيف ألمه، و"لم يرد أن يشرب" (متى ٢٧:٣٤).

٦٨} لم يقل المسيح "أنا عطشان" لكى يأخذ من الناس ماءً، كان يعرف انهم سيقدمون له خلا (متى٢٧: ٤٤-٤٨)، كان يعرف ذلك بلاهوته الذي ينكشف أمامه الغيب والمستقبل، وكان يعرف ذلك من حيث معرفته بالنبوءة التى تقول "وفى عطشى يسقوننى خلا" (مز ٦٩: ٢١).

٦٩} بِقول المسيح "أنا عطشان" اراد أن يُتَمِّمُ النبوءات عنه وأن يعلن أنَّ الثمن قد دُفِعَ لكى يطمئن البشر، أمّا البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها فقدموا له خلاً فى عطشه لكى يزيدوا ألمه ألماً، أترانا نحن نفعل ذلك أيضاً، وكلما يطلب الرب أن يرتوى بخلاصنا ويشرب من نتاج كرمته التى يسرى عصيرها فى عروقنا، أترانا نُقَدِّمُ له خلاً بأفعالنا الردئية وبلهونا وعبثنا واهمالنا؟!

٧٠} فوق هذا المذبح [أى الصليب] وضع الله عليه [أى على المسيح] إثم جميعنا، وضع الله عليه جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال، مِنْ آدم إلى آخر الدهور بكل ما فيها من بشاعة ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف، بكل ما فيها من زنا وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء، حتى صاح الابن قائلا "قد أكمل"، ونحن نضع أيدينا على هذه الذبيحة الطاهرة، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة، نضيفها إلى آلامه لكى يمحوها بدمه الكريم.

٧١} كما كَمُلَتْ الخطايا على كتفي المسيح كَمُلَ أيضاً العار الواقع عليه، وهكذا قال فى ذلك "بذلت ظهرى للضاربين، وخدى للناتفين، وجهى لم استره عن خزى البصاق" (إش٥٠: ٦)، وقال أيضاً "كل الذين يرونني يستهزئون بى، عار عند البشر ومحتقر الشعب" (مز٢٢: ٦-٧)، فى كل هذا تعرض للضرب

والاهانة والجلد والاستهزاء، وكل صنوف التحقير والتهكم، وكلمات التجديف والتعيير وكانوا يلطمونه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك (مت ٢٦: ٦٧-٦٨)! وألبسوه الثوب الأرجوانى وأكليل الشوك، وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول الكتاب "ملعون كل من علق على خشبه" (غل ٣: ١٣) (تث ٢١: ٢٣).

٧٢} لمَّا رأى الرب أنَّهُ قد أكمل عمل الكفارة والفداء وأنَّهُ أعطى العدل الإلهى كل ما يطلب ولم يعد له شىء بعد، صاح فى نصرة قائلا "قد أكمل".

٧٣} هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب؟ هل تستطيع أن تصعد على الصليب وتسحق رأس الحية؟ هل تستطيع أن تنظر إلى عملك الذي اعطاك الرب إياه وتقول "قد أكمل".

٧٤} بعدما أسلم المسيح روحه (الإنسانيّة) على الصليب بقى له عمل آخر ليعمله، بقى أن "يسبى سبياً ويعطى الناس عطايا" (أف ٤ :٨)، بقى أن ينزل إلى الجحيم ويُبَشِّرُ الراقدين على الرجاء وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم إلى الفردوس فاتحا أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية الأولى.

٧٥} إذ أتَمَّ المسيح عمل الفداء، لم يعد هناك داعٍ للتأخير، عليه إذَنْ أن يخرج من هذا الجسد ليُكْمِلُ عمل الخلاص الخاص بالراقدين أيضاً، فَليُسَلِّمُ الروح فى يدى الآب حتى يمكنه أن يعمل الأعمال التى موعد عملها بعد الموت، وهكذا صرخ بصوت عظيم "يا أبتاه فى يديك أستودع روحي".

٧٦} كم اشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس [أى نفس المسيح]، أن يَقْبِض عليها كسائرِ الأرواح التى فى السجن، ولَكِنَّهُ لن يقدر على

هذه النفس بالذات التى سيستقبلها الآب فى يديه، هذه النفس لا يستطيع أحدٌ أن يأخذها مِنِّي، لى سلطانٌ أن أضعها ولى سلطانٌ أن آخذها أيضاً (يو١٠: ١٧-١٨).

٧٧} إنَّ روحَ لعازر المسكين عندما خرجت من جسده حملتها الملائكة (لو١٦:٢٢)، وروح العذراء حملها المسيح، أما روح المسيح فيحملها الله الآب.

٧٨} صُراخ المسيح بصوتٍ عظيمٍ فى ساعة الموت دليل على أنه له قوة أخرى فوق قوة الناسوت، أى دليل على لاهوته، وهكذا فصراخه بصوتٍ عظيمٍ دليل على انتصاره، لأنَّهُ بالموتِ داس الموت وقهره، هذه الصرخة زعزعت الشيطان وقهرته.

٧٩} فى عبارة "فى يدك استودع روحى" طمأنينة عظيمة لنا من جهة خلود الروح، إنَّها لا تنتهى بالموت، الموت بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال من حياةٍ إلى حياةٍ، إنما المهم فى الموضوع كله هو: اين تستقر الروح بعد موت الجسد، إن اطمأن الإنسان على هذه النقطة، استقبل الموت بفرحٍ وقال: لى اشتهاءٌ أن انطلق.

٨٠} أيها الأخ، هل انت مطمئن على مصير روحك؟ هل عندما تلفظها ستودعها فى يدى المسيح، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر؟ أم سيقبض عليها الشيطان ويقول [انها لى، كانت من جنودى، تعيش فى طاعتى، لذلك سآخذها لتكون معى] ،يا للهول! اطمئن يا أخى إذَنْ أين ستذهب روحك.

٨١} لقد عَلَّمنا الرب أن نقول فى الصلاة الربية "اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن أيضاً لمن أخطأ إلينا"، فأصبحت عبارة "يا أبتاه اغفر لهم" شرطاً لازماً للمغفرة لك أنت.

٨٢} لا يظن أحد منكم أنَّهُ يمنح المغفرة لغيره عندما يقول "يا أبتاه اغفر لهم"، فى الواقع أنَّهُ يأخذ المغفرة لنفسه، لأن شرط الغفران الذي تأخذه أنت هو أن تغفر لغيرك "اغفروا يُغْفَرُ لكم" (لو ٦: ٣٧).

٨٣} لم تغفر أنت للآخرين، إنما تمنع المغفرة عن نفسك، وليس عن الآخرين، فإن قلت "يا أبتاه أغفر لهم" يرد عليك قائلا "وأنا أيضاً أغفر لك"، إذَنْ مغفرتك للناس أمر أنت مضطرٌ إليه لكى تنال المغفرة أنت أيضاً، فالأفضل أذَنْ أن تغفر من أجل المحبة [كما فعل المسيح] بدلاً مِنْ أن تغفر اضطرارا من أجل أن يُغفر لك.

٨٤} من الجائز أنَّ هذه المغفرة تتعبك من الداخل ولا تكون سهلة على قلبك، كيف أغفر لمن فعل بى كذا وكذا، وأهاننى وأتعبنى وألصق نفسى بالتراب؟! أقول لك: أحتمل، أنت فى الواقع فيما تعطى لهذا الإنسان المغفرة، إنما تعطيها أيضاً لنفسك، فاغفر لكى يغفر الرب لك، وأقول مرة أخرى: ليتك تغفر عن حبٍ وليس عن اضطرارٍ.

٨٥} عندما تنتصر على نفسك من الداخل وتغفر، تكون قد صعدت على الصليب، وعندما تصعد على الصليب تستطيع أن تقول "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه" (في ٣: ١٠)، لقد دخلت فى شركة آلامه، صعدت معه على الصليب وغفرت للمسيئين لأنَّهُم لا يدرون ماذا يفعلون.

٨٦} لا تهرب من الضيقات التى تقع عليك بل فى كل ضيقة قل عبارة اللص التائب "نحن بِعَدْلٍ جوزينا".

٨٧} لا تطلب أن يذكرك الرب فقط على الأرض بل فى ملكوته، إن كان فى الأرض مسامير أو صليب، لا يهم.. المُهِمُّ هو مصيرك فى الملكوت.

٨٨} لا تفكر أن تنزل من على صليبك، بل احتمل واصبر.

٨٩} تَذَكَّر أنَّ عِبارة "اليوم تكون معى فى الفردوس" هى عبارة مشجعة جدا، تمنع اليأس، وتهب الرجاء، إن كان اللص قد نال الوعد بالفردوس على الرغم من كل شرورة وخطاياه، فلا تيأس أنت مهما كانت خطاياك، إن كانت توبة اللص قد قبلت وهو فى آخر ساعات حياته، فلا تيأس أنت إن كانت حياتك السابقة كلها قد أكلها الجراد وضاعت هباءً.

٩٠} عبارة "اليوم تكون معى فى الفردوس" تعطينا أيضاً مثالاً عمليّاً لسرعة استجابة الصلوات، حالما قال اللص "اذكرنى يا رب" أتاه الرد سريعا "اليوم تكون معى فى الفردوس"، إذَاً لا تمل من الصلاة والطلبة ولا تبرح من فمك عبارة "أذكرنى يا رب"، قلها فى كل حين ومن أعماقِ قلبك، وبإيمانٍ وثق أنَّهُ سيستجيب.

٩١} لا تترك العدو يحاربك بالخجل حتى لا تطلب، إنَّ العشّار فى عمق خجله قال "ارحمنى يا رب"، واللص وهو عارفٌ بخطيئته قال "أذكرنى يارب"، هكذا نحن أيضاً، مع أن الخزى يغطى وجوهنا بسبب خطايانا، ومع أنه ليس لنا وجه نرفعه إلى الرب، وليست لنا دالة ولا حجة ولا معذرة، إلا أنَّنَا من أجل حنانه

ومحبته وغفرانه، سنظل نقول عبارة "أذكرنى يا رب"، إلى أن ننال منه الوعد بالفردوس.

٩٢} إنَّ الرب لم يكتفِ فقط بأن يعطى اللص وعد بالفردوس، وإنما بالأكثر اعطاه وعداً أن يكون معه، لِأنَّ أهَمّ ما فى الفردوس أن نكون مع الرب.

٩٣} إنَّ الفردوس بدون الرب لا قيمة له ولا نعيم فيه ولا يصح أن يدعى فردوساً، إنَّ النعيم الحقيقى هو أن نكون مع الرب، يكون الرب وسط شعبه، يتمتعون به، بحبه وبصحبته وبنوره وبأبوته وبحنانه، لذلك لا تطلب الفردوس بل أطلب الرب نفسه، اطلب أن تكون معه، تتأمل وجهه المفرح البشوش كما قال داود: لوجهك يارب التمس، لا تحجب وجهك عنى.

٩٤} العجيب فى قصة هذا اللص، أنه أخذ وعداً بالوجودِ مع الله فى الفردوس على الرغم من أنَّهُ لم يعش مع الله على الأرض.

٩٥} الصلاة هي أخْذ وليست عطاء، إحذر مِنْ أن تُفَكِّرُ في وقتٍ من الأوقاتِ أنَّكَ حينما تصلي إنما تُعطي الله وقتاً وتعطيه مشاعر! ولذلك تعتذر عن الصلاة أحياناً وتقول "ليس لدي وقت!" كلا، بل أنت في الصلاة تأخذ من الله الكثير، تأخذ بركة وعشرة طيبة ومتعة روحية وهبات لا تحصي، وهكذا نقول لله في القداس "لست أنت محتاجاً إلي عبوديتي، بل أنا المحتاج إلي ربوبيتك"، أنا المحتاج أن آخُذ منك حينما أصلي، يريحني ويسعدني مجرد الشعور بأنني في حضرتك، الشعور بالأمان في حضرة الله القوي والمتحنن والرحي، في حضرة الآب الذي يحب أولاده، ويمنحهم من قلبه ومن عطفه.

٩٦} الصلاة هي أغنية نقدمها إلي الله من قلوب سعيدة به.

٩٧} إن الصلاة الربِّية هي صلاة مثالية نموذجية تحمل الكثير من المعاني الروحية، لو دخل المصلي إلي أعماقها وأدخلها إلي أعماقه، لأمكنه أن يكتفي بها دون أية صلاة أخري، هذا إذا صَلَّاها بفهمٍ وتأملٍ وعمقٍ، أما إذا صَلَّاها بسرعةٍ وروتينيةٍ ولم يشعر بروحانية الصلاة، يكون العيب في السرعة والروتينية وليس في هذه الصلاة.

٩٨} إنَّنا نُكَلِّمُ الله في الصلاة ليس كملكٍ أو خالقٍ إنما نُكَلِّمه كأبٍ، لقد بدأ السيد المسيح يُدْخِلُ الناس في عاطفية الصلاة ومشاعر الصلاة، الإبن يُكَلِّمُ أبيه وليس المخلوق يُكَلِّمُ خالقه أو العبد يُكَلِّمُ سَيِّدَهُ، نحن نُكَلِّمُ الله كأبٍ ومِنْ هُنا كانت الصلاة حديثاً عاطفياً بين إبن وأبيه في غير استجداء أو توسل، فإذا خرجت صلواتكم عن هذا المستوي تكونون قد خرجتم عن روحانية الصلاة الربانية.

٩٩} إنَّ الناحية الفردية لا وجود لها في الصلاة الربانية، إنها صلاة إنسان لا يصلي من أجل نفسه إنما عن البشرية كلها، وهناك إنسان يَسَعُ قلبه العالم كله حتى لو كان في مغارة بالجبل كما يقول الشاعر المهجري.

خلت إني في القفر أصبحت وحدي ... فإذا الناس كلهم في أهابي

كم هي جميلة هذه الروح الجماعيّة، اغفر لنا خطايانا، اغفر لي ولجميع الناس والخبز الروحي لنا كلنا، ونجنا كلنا، أريد يارب أن أُصَلِّي لك من أجلي ومن أجل أصحابي وجيراني والعالم كله، أنا لا أستطيع أن أكون بغني عن العالم، لأنَّهُ إذا تألم عضواً تألمت معه كل الأعضاء، أنا يارب أطلب إليك من

أجل الكل، لأنَّهُ ربما أتت خطيتي من خطايا للناس كلهم، وربما نفعت فضيلة إنسان العالم كله.

١٠٠} قد يكون مِنْ حقك أو من واجبك أن تنصح أو توبخ، ولكن ليكن هذا النصح بأدبٍ وباتضاعٍ وبمحبةٍ، إنَّ التوبيخ بروح الكبرياء والتعالي أو بأسلوب الاحتقار والاستصغار لا يمكن أن يكون مقبولاً.

✠

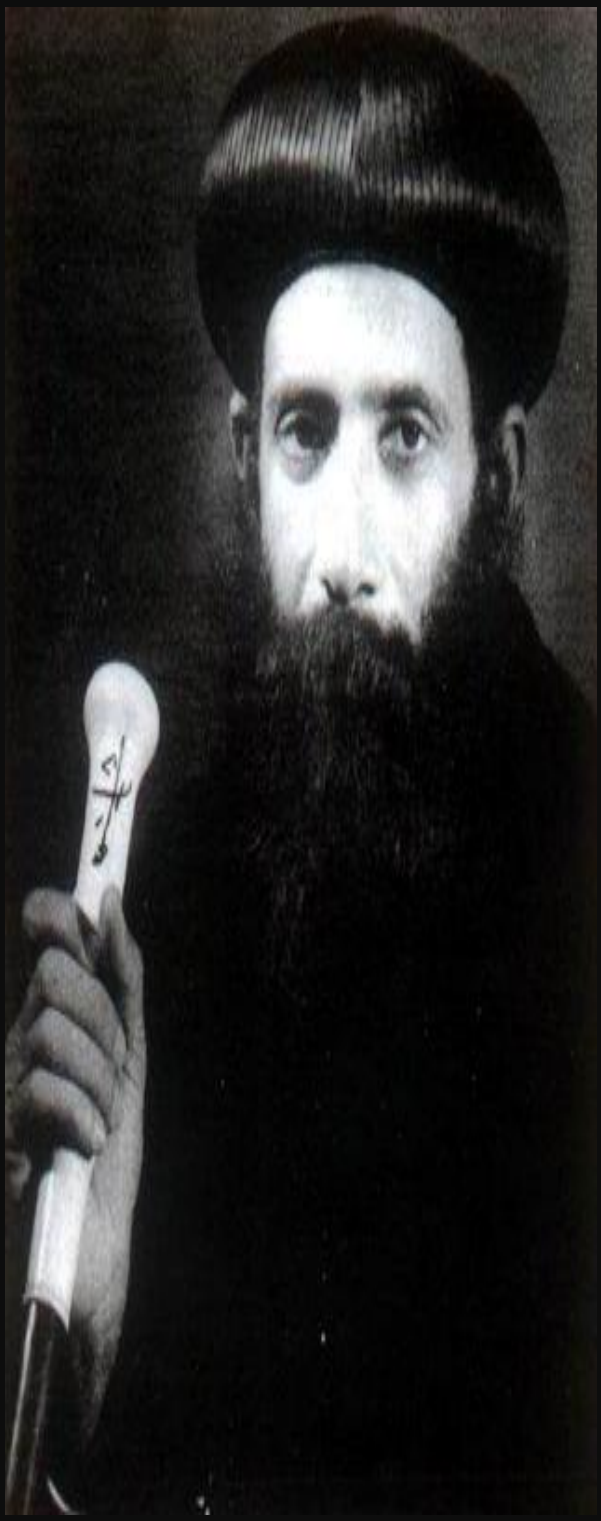

تَذَكَّرَ أنَّ عِبَارَة "اليوم تكون معى فى الفردوس" هي عبارةُ مشجعةُ جداً، تَمْنَعُ اليأسَ، وَتَهِبُ الرَجَاءَ، إن كانَ اللِّص قد نَالَ الوَعْدَ بالفردوسِ عَلَى الرغمِ مِنْ كُلِ شرورة وخطاياه، فلا تيأس أنْتَ مَهْمَا كانت خطاياك، إن كانت توبة اللص قد قُبِلَتْ وهو في آخرِ ساعات حياته، فلا تيأس أنْتَ إن كانت حياتك السابقة كلها قد أكلها الجرادُ وضاعت هباءً.

[البابا شنودة الثالِث]